"شعر من غزة", آيات أبو شميس، شاعرة يافاوية, 7/9/2025

المقدمة

مرحباً بالجميع. أهلاً بكم في "عيون على غزة"، تجمعنا اليومي الذي يجمع بين الاحتجاج والتعلّم. بين التقارير والتحليلات التي نسمعها هنا وفي كل مكان عن الهجمات المتواصلة، والتهجير، والتجويع، والمحو—سواء بين علامتي اقتباس أم لا—من المهم أن نتعرّف إلى غزة لا بوصفها موضوعاً لعنف مروّع فحسب، بل أيضاً مكاناً للحياة. وليس حياةً دنيا أو مجرّد بقاء—وهذان أيضاً مهمّان—بل مكاناً للتعليم والثقافة والموسيقى والشعر والرياضة والإبداع. "غزة الحياة". كي نتحدث هنا عن هذه الحياة كما كانت، وعن التمسك بها وبالشعر حتى تحت وطأة العنف المروّع، نستضيف اليوم آيات أبو شميس، شاعرة فلسطينية رائعة، من يافا وناشطة. أولاً أشكركِ يا آيات على قبول الدعوة اليوم، في اللحظة الأخيرة تقريباً، بدلاً من نوعام شوستر إلياسي التي تعذّر عليها الحضور وأرسلت اعتذارها. نأمل أن تستضيف هنا قريباً. كعادتنا، ستتحدث آيات لثماني دقائق ثم نترك وقتاً لنقاش قصير. أذكّر من ترغب/يرغب بطرح سؤال أن تكتبه في الدردشة وسأقرأه لآيات بعد كلمتها. مرحباً يا آيات — مرحباً، شكراً جزيلاً.

المحاضرة

سنبدأ بمشاهدة مقطع قصير لشاعرة فلسطينية من غزة. لكن قبل ذلك كلمة وجيزة لأقدّمها لكنّ/لكم: سنشاهد ونسمع صوت هبة أبو ندى (رحمها الله). كانت كاتبة وشاعرة شابة، من مواليد 1991. درست الكيمياء الحيوية والتغذية السريرية في الجامعة الإسلامية. في عام 2017 فاز رومانها بالمركز الثاني في مسابقة للإبداع العربي تُمنح من دولة الإمارات العربية المتحدة. للأسف، قُصفت أبو ندى في خان يونس مع أفراد أسرتها—أي أنها لم تعد بيننا، رحمها الله.
الآن سنعرض مقطع فيديو من إعداد ميسم حدّاد ونستمع إلى صوت هبة. هناك ترجمات إلى الإنجليزية، أما القصائد فبالعربية.
سأقرأ اليوم ثلاث قصائد، جميعها مرفقة بترجمة/شرح عند الحاجة.

يا وَحْدَنا،
رَبِحَ الجَميعُ حُروبَهُم،
وَتُرِكْتَ أَنْتَ أَمامَ وَحْدِكَ عاريًا.
لا شِعْرَ، يا دَرويشُ، سَيُعيدُ ما خَسِرَ الوَحيدُ وَما فَقَدَ.
يا وَحْدَنا،
هذا زَمانٌ جاهِلِيٌّ آخَرُ؛ لَعَنَ الَّذي في الحَرْبِ فَرَّقَنا بِهِ، وَعَلى جِنازَتِكَ اتَّحَدَ.
يا وَحْدَنا، الأَرْضُ سُوقٌ حُرَّةٌ، وَبِلادُكَ الكُبْرَى مِزادٌ مُعْتَمَدٌ.
يا وَحْدَنا، هذا زَمانٌ جاهِلِيٌّ لَنْ يُسانِدَنا أَحَدٌ.
يا وَحْدَنا، فَامْسَحْ قَصائِدَكَ القَدِيمَةَ وَالجَدِيدَةَ وَالبُكاءَ، وَشُدَّ حَيْلَكَ.

تنفّسنا. شكراً، أيلِت.

سأشارك الآن قصيدة أخرى للشاعرة هند جودة. بدأت هند ككاتبة ومقدّمة ومحرّرة لبرنامج إذاعي. فازت بجائزة محلية عن قصة قصيرة كتبتها، ثم بجائزة أخرى تُسمّى "الجائزة الذهبية" وهي جائزة مصرية تُمنح لكاتبات وكتّاب في بدايات طريقهم. بعد ذلك بدأت تكتب الشعر. صدر ديوانها الأول قبل نحو 12 سنة، ومنذئذٍ تواصل كتابة الشعر. في الحرب الحالية شاركت في عدد من مشاريع الكتابة ومشاريع الترجمة، ومؤخراً—قبل نحو نصف عام—صدر لها كتاب ثنائي اللغة بالعربية والفرنسية. تعدّ هند من القلائل الذين تمكنوا من مغادرة غزة، وأقامت فترة في مصر، وهي هناك هذه الأيام. سأرفع الآن قصيدتها لنتابعها أيضاً بالإنجليزية:

ماذا يَعْني أَنْ تَكونَ شاعِرًا في زَمَنِ الحَرْبِ؟
ماذا يَعْني أَنْ تَعْتَذِرَ،
أَنْ تُكْثِرَ مِنَ الاِعْتِذارِ،
لِلأَشْجارِ المُحْتَرَقَةِ،
لِلْعَصافيرِ الَّتي بِلا أَعْشاشٍ،
لِلْبُيوتِ المَسْحوقَةِ،
لِشُقوقٍ طَويلَةٍ في خاصِرَةِ الشَّوارِعِ،
لِلأَطْفالِ الشّاحِبينَ قَبْلَ المَوْتِ وَبَعْدَهُ،

لِكُلِّ أُمٍّ حَزِينَةٍ أَوْ مَقْتولَةٍ.
ماذا يَعْني أَنْ تَكونَ آمِنًا في زَمَنِ الحَرْبِ؟
يَعْني أَنْ تَخْجَلَ مِن ابْتِسامَتِكَ،
مِنْ دِفْئِكَ،
مِنْ ثِيابِكَ النَّظِيفَةِ،
مِنْ ساعاتِ مَلَلِكَ،
مِنْ تَثاؤُبِكَ،
مِنْ فِنْجانِ قَهْوَتِكَ،
مِنْ نَوْمِكَ المُسْتَقِرّ،
مِنْ أَحِبَّائِكَ الأَحْياءِ،
مِنْ شِبَعِكَ،
مِنَ الماءِ المُتاحِ،
مِنَ الماءِ النَّظيفِ،
مِنْ قُدْرَتِكَ عَلى الإِسْتِحْمامِ،
وَمِنَ المُصادَفَةِ بِأَنَّكَ ما زِلْتَ حَيًّا.
يا إِلهي،
لا أُريدُ أَنْ أَكونَ شاعِرَةً في زَمَنِ الحَرْبِ.

الأخيرة سأقرأها للشاعر حسام معروف. قبل ذلك نبذة قصيرة: حسام من مواليد 1981، كاتب وشاعر وصحافي. متزوج وأب لابنين (فتى وفتاة يافعان). أصدر ثلاثة كتب، اثنان منها دواوين شعر. حاز جائزة محمود درويش عن كتابه عام 2015، واسم الكتاب "الموت رائحته كالزجاج". كما نال جائزة أخرى من مؤسسة تركية لدعم الثقافة. يكتب مقالات عن الحياة في غزة—سابقاً والآن—عن قضايا النساء والعنف ضدهنّ، وعن الطفولة في غزة، وعن الحرب. يواصل عمله الآن كصحافي ومحرّر بقدر المستطاع. وكان مهماً لحسام، حين تحدّثتُ معه ونحن نُعدّ هذا الحدث، أن يؤكّد أن هذه القصيدة لم تُكتب في هذه الحرب بل خلال "الجرف الصامد/العصف المأكول"، وقد اختارها وأرسلها لأنّه أراد أن نعلم أنها ليست الحرب الأولى؛ بل واقع متكرّر في غزة. وهذه هي القصيدة

التَّفاصيلُ الدَّقيقَةُ لِلْحَرْبِ — حُسّام مَعْروف

غارِقونَ في الزَّمَنِ المُحَدَّدِ لِوَقْفِ القِتالِ نَصْنَعُ قُلوبًا احْتِياطِيَّةً،
خَوْفًا مِنْ فُقْدانِ القَلْبِ الوَحيدِ.
لا نَعْرِفُ ما جَدْوَى التَّمَسُّكِ بِحَياةٍ عَلى الحافَّةِ، لَكِنْ
يَبْدو أَنَّ الأَمَلَ لا يَتِمُّ قَصْفُهُ دَفْعَةً واحِدَةً.
التَّفاصيلُ الدَّقيقَةُ لِلْحَرْبِ:
غازاتٌ سامَّةٌ
لا يُمْكِنُ مَنْعُها مِنَ التَّحْليقِ في دَمِنا،
وَلا نَعْرِفُ كَيْفَ نُمْسِكُ بِالخَوْفِ
لِنُلْقِيَهُ قِطْعَةً واحِدَةً خارِجَ الجَسَدِ. يا اللهُ،
إِيقاعُ القَلَقِ في الدَّاخِلِ أَعْلى مِنْ صَوْتِ قَذيفَةٍ تَسْقُطُ بِالقُرْبِ؛ قُلْ لي
كَيْفَ سَتُقْنِعُ العالَمَ بَعْدَ الآنَ
بِأَنَّ الغابَةَ فارِغَةٌ مِنَ الطُّيولِ.
التَّفاصيلُ الدَّقيقَةُ لِلْحَرْبِ تُثَبِّتُ أَقْدامَنا في المَكانِ،
فيما يَهْرُبُ البَيْتُ،
تارِكًا حِجارَتَهُ،
وَأَشْلاءَ الأَطْفالِ.

قبل أقل من عام بقليل أقمنا—أنا وصديقتي د. راحيل كورازيم التي تعمل أيضاً في الأدب—فعالية جلبنا فيها أصوات شعراء وشاعرات غزة إلينا هنا. كان هذا من أصعب ما قمت به، وقد خضتُ أموراً كثيرة صعبة. الحياة هنا عموماً مُتعبة، فلا شيء بسيط. لكن هذه الفعالية تحديداً كانت شديدة الصعوبة: القرب النفسي، والدم، وروابط الدم، وكل ما واجهناه. لكن الحمد لله في النهاية تمكّنا من إقامتها، وكانت كبيرة جداً. أُقيمت في يافا، في مسرح السرايا، وكان الحضور غفيراً حتى امتلأت القاعة. جاء كثير من الفلسطينيين والإسرائيليين الراغبين في سماع هذه الأصوات. الجميع شارك تطوّعاً—وكذلك المسرح—كلّه كان بمثابة تحية.